

سلسلة مقالات القديس ساويرس
الطبريك الأنطاكي

٢٦

رسالة إلى الموعوظين

يوسف هيوب

ملكة هيوب يوسف

سلسلة مقالات القديس ساويرس
البيطريرك الأناطلي

٢٦

رسالة إلى الموعوظين

مترجمة عن الفرنسية من الجزء الثاني عشر من مجموعة

PATROLOGIA ORIENTALES

R. Graffin — F. Nau

Les Homélie Cathédrales de Sévère d'Antioche
pu liées et traduites par Maurice Brière

أنتي القديس أنبا ساويرس هذا المقال في أيام الصوم
الكبير سنة ٥١٥ ميلادية في أربماه البصخة المقدسة

المعرفة النازلة من فوق

ان دورة السنة إذ تأتي بنا إلى ذات اليوم مع ذات الموضوع،
وغالباً مع ذات المعلم أيضاً ، أخرى بها ألا يفكر منها أحد منا
هذا المدرس الحاضر أنه زائد عن الحاجة ، متعللاً في ذلك بأن
التعليم معاد يتكرر بدون فائدة بنفس الالفاظ في أمور معروفة .
فإن من كانت له مثل تلك الافكار سوف يندى أن هذا الحديث
يدعى هو أيضاً بمثابة درس أو صدى أو طنين ؛ - أنتي لا أنتعب
من قول نفس الشيء مرتين بل عشر مرات أيضاً وأكثراً من ذلك
- لأنه يطن في آذان غير المتعلمين ، وربما في آذان المتعلمين أيضاً ،
حتى يفهموا الاقوال سواء أكانت قليلة أو كثيرة .

ولا يجب إذا كنا نقدم لكم الافكار عينها وذات
الكلمات ؛ فإن الامهات والمرضعات يعطين ذات اللبن لا ولا دهنه ،
ويعطين ذات الحنظل ليعودنهم على طعام أقوى ، أنهن يستعملن نفس
اللون من العبارات الخالية من المعاني ونفس الأصوات ، ينطقن



غبطة أيذا الطوباوي المكرم رئيس الاساقفة

الأنبا شنودة الثالث

بابا وبطريك الكرازة المرقسية

مقدمات الكلمات وفيها نفس القصور الفاظاً صغيرة مقسمة
لاقيادهم إلى نطق الكلمات الصحيحة بوضوح .

ان مثل هذا النوع من التعليم الموضوع أمامنا إنما هو درس
وصدى للصوت الذي يصل إلى الأذان آتياً من السماء ، نازلاً من
الملا على السامعين وفقاً لفهمهم .

انقد أو تمنا على ممارسة التعليم ، واننا متأثرون في قرنا بوقع
الصوت الصادر من الملاء ، فعندما يكون الغلب طاهراً خالياً من
الأفكار المادية ، يطل الصوت في آذاننا فيكون له وقع فتختلج
في النفس حقائق التقوى فلا يكون اذن صادراً منا ، بل هو صدى
لذلك الصوت الآتي من فوق .

فكيف نطق عن الكلمة التي تأتي من السماء ، حتى وإن قيلت
مرات عديدة ، هل يمكننا السمع منها فصيح نافذة ؟ لن يرى
ذلك أحد ، إلا إذا كان عالياً تماماً من كل فهم وكل تفكير . فإن
الذين يبصرون ضوء الشمس لا يشعون من البصر بحجة أن الشمس
تضئ نفس الأشياء القديمة ؛ ذلك أن الشمس تبدو كل يوم وقد
تحدد شبابها بضوء لا ينتهي .

الغذاء الروحي

ان العلاقة بين الكلمة الإلهية والشمس هي مثل العلاقة بين
استنارة العقل والضوء المحسوس . في كلتا الحالتين لا يوجد شعب .
ويشهد بذلك داود النبي إذ يقول :

و كما يشناق الإبل إلى جداول المياه هكذا تشناق نفسي إليك
يا الله . عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي . متى أجيء وأترامى
قدام الله . صارت لي دموعى خبزاً نهاراً وليلاً إذ قيل لي كل يوم
أين إلهك . هذه أذكرها فاسكب نفسي على . لاني كنت أمرمع
الجماع أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحد جمهور معبيد ،
مز ٤٢ : ١٠ - ٤ .

يا للعجب ! يقول كنت أشتهى الله ، أريد أن أجد من أحبه ،
كنت عطشاً نأ مثل الأياله . وإذ كنت لا أجد غاية لفتى جعلت
من دموعى خبزاً . وما كنت أوافق أبداً الأفكار الفائلة :
أين إلهك ؟ وأيضاً لم أفقد الأمل . ولكنني أفرغت كل قوة
روحي في هذه الرغبة . وحينئذ بصعوبة أدركت طينياً ، هو
طين الفرح ، لقموم بسبحون ، يتناولون طعام الكلمة فيتهللون .

فأخذته دليلاً وشرعت في الدخول إلى هيكل عجيب ، وأخذت
أجد في السير وتقدمت في التأمل في هذا العالم المنظور الذي يحيط بنا
كخيبة عجيبة .

عن هذا الطريق أصل إلى بيت الله وإلى الأشياء العقلية غير
المتجسدة . ان الله يسكن فيها مثلاً تكون السكنى في بيت ،
ويعرف بها ، إذ أنه بالعينية غير مدرك لا يدنو منه أحد قط .

فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل زمان ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل شيء ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان وزمان ؟



فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان وزمان ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان وزمان ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان وزمان ؟
فكيف يمكن أن يكون الله في كل مكان وزمان ؟

تقريب شرح قانون الإيمان للموعوظين

لنعترف بأننا نؤمن بإله واحد الله الآب صاحب الكل وفي
الحال سوف يتعلم فناً فرحاً ولساننا نبليلاً .

ربما تقول كيف تأمرني بأن أؤمن بإله واحد ثم تقول لي أن
أؤمن بابنه الوحيد ؟

– هلا سمعتني أقول بإله واحد ، ثم أقول أيضاً ، الآب ،
وإن فكرة الابن مرتبطة في ذات الوقت بالآب ؟ لأن الآب
يكون ضرورة آب الابن ليكون أباً حقيقياً ، ومع ذلك يظل
لهذا واحداً ، ليس هناك آخر سواه ، كما أن الابن أيضاً كان
قبل الدهور وذاتاً إلى الأبد .

كيف يمكننا أن ندرك فكرة الابن الكائن مع الآب وليس
بعده في الزمن ؟

عليك أن تبعد ذهنك عن المواليذ الجسدية التي تنحصر في
الزمن والتي يرتبط وجودها بمرور الزمن .

نحن نصير آباء في حدود الزمن ، ومرور الزمن يسبق ميلاد

أبناثنا ؛ فبعد أن صرنا أولاداً لبعض الناس نصير بدورنا آباء
لآخرين . ولكن عندما نسمع في الكتب المقدسة أن ابن الله
الآب هو الكلمة ، لتكن العبارات نفسها درساً لك ، ارتفع بها
وانتقل نحو الميلاد الأزلي غير الجسدي غير المستحيل .

ان العقل يلد الكلام بدون ألم ، وليس كما تفعل الأجساد .
والكلمة تعنى الحركة العقلية التي يشكها العقل غير المنظور غير
المعروف . لذلك بواسر الرسول يدهو الابن ، صورة الله غير
المنظور ، كوا : ١٥ .

تأمل في أن ميلاده ميلاد أزلي مستقل عن الزمن . ليس من
يقول أن بهاء الشمس وضوءها يمكن أن يفترقا عن الشمس البهية
الماضية ؛ وليس من يقول أن القرص الذي فيه أشعة الشمس يمكن
أن يفترق جزئياً بعض الوقت عن ضوءه الذاتي .

هكذا أيضاً يلزمنا ضرورة أن نترف بأن الابن وهو بهاء
مجد الآب ، مساوٍ في الأزلية لمن يجعله يتأق بطريقة لا يدركها
أحد ، وبأن الآب ليس قبل الابن في الزمن ، بل ان الابن مساوٍ
للآب في الأزلية .

فهل عندما نسمع ذلك ، تجسر أيضاً أن تقارن ميلاد الابن

الأزلي بالمواليد الأرضية ؛ ألا تميز الفرق بين الميلاد الإلهي
والميلاد البشري ؟

ان الميلاد الإلهي بعيد كل البعد عن الميلاد البشري ولا علاقة
له به ، وليس هناك أي وجه للمقارنة بينهما . إذن فعندما نسمع
« الابن » أفهم أنه مساوٍ للآب في الجوهر .

وحتى يكون الكلام بسيطاً ، عليك أن تخنار في كل عبارة
من هذه العبارات ، ما يليق بالله تعالى ، وأن تلقى بعيداً عنك كل
ما يجعله مشابهاً لمقارنتنا ؛ لأن الاشارة المجردة بعيدة وعاجزة عن
بيان كل الحقيقة ؛ حتى أنه بصعوبة بالغة بواسطة كل الاشارات
تتمكن من ايجاد بعض قرائن المشابهة الصغيرة جداً ، لكن يضرب
حجراً بحجر حتى ترى شرارة نار تخرج منهما .

+++

وعمورة كبريتاً وداوآ من عند الرب من السماء . تك ١٩ : ٢٤ .

وعندما كتب موسى النبي عن نفسه : « يكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » خر ٣٣ : ١١ . ثم يطلب من الله الطلبة الآتية : « أرني مجدك » خر ٣٣ : ١٨ .

وإذ كان يكلم الله وجهاً لوجه ، مثلما يتكلم مع صديق ، فكيف كان يشتهي أيضاً أن يرى مجد الله ؟ أليس أمراً مؤكداً أنه كان يطلب أن يرى بهاء مجده ، الابن الوحيد ، الكلمة الذي كان جزءاً أن يظهر في الجسد في آخر الأيام ؟

لذلك سمع أيضاً : « وقال الرب هوذا عندي مكان . فتقف على الصخرة » خر ٣٣ : ٢١ . ومعناه هكذا : لرؤية مجدي الذي تشتهي أن تراه ، ليس عندي سوى طريقة واحدة ، يعني تجسد الكلمة . لهذا يدعو نفسه صخرة ، إذ يقول : « وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة » مت ١٦ : ١٨ . فيصير مرتباً حسب الجسد بالتدبير الإلهي ، بينما هو بالطبيعة غير مرتب .

ويقول أيضاً : « الذي رآني فقد رأى الآب » يو ١٤ : ٩ . حتى أن الذين يرونه يقولون : « ورأينا مجده مجداً كالوحيد من الآب ملوئاً نعمة وحقاً » يو ١ : ١٤ : ١٥ : ١٦ .

الثالوث الأقدس

ان الآب هو الله ، والابن هو الله ، والروح القدس هو الله ، ولكن ليس ثلاثة آلهة ، بل إله واحد .

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » تك ١ : ٢٦ .

لكي نعلم أن الثالوث الأقدس هو الخالق لأنه الله الواحد .

ويتول موسى النبي أن الله ظهر لابراهيم ؛ ويشرح لنا كيفية ذلك بقوله : « فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه » تك ١٨ : ٢ .

والذي رأى ثلاثة رجال وسجد إلى الارض كان يتحدث معهم كأنه يخاطب واحداً إذ يقول : « يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك » تك ١٨ : ٣ . ثم يغير شكل الخطاب . فيتكلم كأنه يخاطب ثلاثة فيقول : « ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم وانكثوا تحت الشجرة » تك ١٨ : ٤ .

وماذا نقول أيضاً عندما نقرأ : « فأمطر الرب على سدوم

إذ إن كنت تريد أن ترى مجدى ، فهذه الطريقة أريك
إياه سلفاً ، وذلك مثلما في لنز وبقدر ما تستطيع به أن ترى
المستقبل من بعيد ، بينما تظل معظم الأحداث مخفية عنك ، التلا
ترتب ما هو أعلى منك ، ويعتريك الجود .

يقول : • ويكون متى اجتاز مجدى اتى أضعك في نقرة من
الصخرة وأترك يدي حتى اجناز . ثم أرفع يدي فننظر ورأى .
وأما وجهى فلا يرى ، خر ٢٢ : ٢٣ - ٢٣ .

ويقول : • فزل الرب من السحاب . فوقف عنده هناك
ونادى باسم الرب . فاجناز الرب فدماه ونادى الرب الرب إله
رحيم ورؤوف بطى . الغضب وكثير الاحسان والوفاء .
خر ٢٤ : ٥ - ٦ .

اذلك كان كلمة الله ذاته يقول لليهود فى الاناجيل : • لانكم
لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لانه هو كتب عنى •
يو ٥ : ٤٦ .

وكان الرسل القديسون يقولون : • لانه قد رأى الروح
القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الاشياء
الواجبة • اع ١٥ : ٢٨ .

• فقال لى الروح أن أذهب معهم غير مراتب فى شوق •
اع ١١ : ١٢ .

كل ذلك إذن بين أن الثالوث الأقدس الإله الواحد
هو الخالق .

• هو ذا الامم كمنقطة من دلو وكنبار الميزان تحسب . هو ذا
الجزائر يرفعها كدقة • اش ٤٠ : ١٥ .

• وكل الامم كلا شوق فدماه • من العدم والباطل تحسب عنده •
اش ٤٠ : ١٧ .

+++

الله الكلمة المتجسد

ان الروح لا تقبل الجسد من أجل اكتساب وجودها ، لانها
سوى منفصلة عنه تكون بوجوده بذاتها . ويقول بولس الرسول :
• ارواح ابرار مكين ، عب ١٢ : ٢٣ . وعندما يقول بطرس
الرسول بخصوص الخطاة : « مماثلاً في الجسد ولكن محي في الروح
الذي فيه أيضاً ذهب فمركز للارواح التي في السجن ، ١ بط ٣ :
١٨ - ١٩ ؛ فإن الروح الكامل عندما يكون متجداً بالجسد يعرف
كجزء من الانسان . كذلك الجسد الكامل لا ينقصه شيء فيما يخص
تعريف الجسد ، بل يكون جزءاً من الكائن الحي .

• ومن قبيل أن تقبرت الجبال قبل التلال ابدت ،
أم ٨ : ٢٥ .

• الرب قناني أول طريقته من قبل أعماله منذ القدم ، أم ٨ : ٢٣
مع أنه غير مخلوق وكامل بجوهره . وهكذا أيضاً دعا نفسه عادماً
وهو القادر على كل شيء ملك الملوك .

ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : « ما العذراء تحبل وتلد ابناً
وتدعو اسمه عمانوئيل ، أش ٧ : ١٤ .

• لانه يولد لنا ولد ونهطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه
ويدعى اسمه عجيباً . مشيراً إلهاً قديراً أباً ابدياً رئيس السلام .
أش ٩ : ٦ .

• في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله .
يو ١ : ١٠ .

• والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا وراينا مجده مجدداً كما
لوحيده من الآب ملوفاً نعمة وحقاً ، يو ١ : ١٤ .

• يوحنا إلى السبع كنائس التي في آسيا نعمة لكم وسلام
من الكائن والذي كان والذي يأتي ، رؤ ١ : ٤ .

• فإذا قد تشارك الاولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً
كذلك فيها لكي يبيد بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس .
عب ٢ : ١٤ .

• لانه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم . من
ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً
ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب ، عب ٢ :

١٦ - ١٧ .

والله الذي هو غنى في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي
أجنا بها ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح . بالنعمة أنتم
مخلصون . وأقامنا معه وأجلستنا معه في السحابات في المسيح يسوع ،
أف ٢ : ٤ - ٦ .

ولأننا أعضاء جسمه من لحم ومن عظامه ، أف ٥ : ٣٠ .

ولأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس
الإنسان يسوع المسيح ، ١ تي ٢ : ٥ .

والذي هو ربنا بجدد ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء
بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه نظيراً لخطايانا جلس في يمين
العظمة في الأعالي ، عب ١ : ٣ .

وهنا يرجه الأب بطريرك القديس حديثه إلى الموعوظين
فيقول :

لقد تقدمت طناً ليس لأقول ما يبدو لي حيناً ، ولما كنت لا أكمل
ما يكون نافعاً ومفيداً للسامعين .

دعيتهم لهذا الايمان وأنتم على وشك قبول سر العماد باسم
الأب والابن والروح القدس ، فافهموا إذن سر التقوى من العماد .

لأنه إذا كان العماد يتم باسم الثالوث الأقدس ، وإذا كان الذين
يعتمدون يعتمدون في المسيح حسب قول بولس الرسول : وأم
تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا الموت . فدفننا
معهُ بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب
هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة ، رو ٦ : ٣ - ٤ . فأى شيء
يظهر لنا من ذلك إلا أن المسيح هو الواحد من الثالوث الأقدس ،
الكلمة المناس الذي ذاق الموت بالجدد ، حتى يصير العماد في
الثالوث .

قتل فساد القبور بقره غير الفاسد ؛ وكسر سلطان الجحيم
والموت بنزوله إلى الجحيم وبقيامته في اليوم الثالث ، مؤكداً بذلك
أننا نحن أيضاً بعد قيامة الأموات سـيرف نكون مقبولين في
أورشليم السماوية .

فن ذا الذي لا يبرح نحو مشال الموت في العماد المقدس حتى
يشترك في الخلاود ؟ من لا يدفن معه ؟ من لا يلبس شكل الأموات
تماماً ، وكذلك عدم الفساد ، مشتبهاً أن يقوم ويتمجد مع المسيح ؟

† † †

جهد الشيطان

اني أعرف أنكم عند سماعكم هذه الكلمات تشتعلون حباً له .
فاظهروا إذن بلسانكم الرغبة التي فيكم . التفتوا أولاً نحو الغرب .
وانكروا عبودية الشرير . فقد تحررتهم فعلاً من قيوده لأنه
لايستطيع أن يحتمل قوة الكلمات التي سوف تنطقون بها ، لأن
هذه الكلمات قوية وفعالة وهي مثل السياط تطرد الشياطين
فيهربون . ثم التفتوا نحو الشرق واعترفوا أيضاً الاعتراف الخلاص
بالإيمان ، لأن القلب يؤمن به للبر والتميم بعترف به للخلاص .
رو ١٠ : ١٠ .

عندما تلتفتون نحو الغرب تمدون اليد اليمنى إشارة إلى تمهيدكم
بعمل الخير ، وتسحبون اليد اليسرى إشارة إلى إخضاعكم الروح
الشرير الذي كان يناهض قوانين الحق .

ويقول الحكيم : « قلب الحكيم عن يمينه وقاب الجاهل عن
يساره . أيضاً إذا مشى الجاهل في الطريق يتقص فهمه ويقول لكل
واحد أنه جاهل ، جا ١٠ : ٢ - ٣ .

وعندما تلتفتون نحو الشرق وترفعون أيديكم إلى فوقه

تعاهدون المسيح . حينما تنظرون النور العقلي الذي لمعرفة الله ،
تصيرون من أهل اليمين وليس فيكم شيء من اليسار .

هذه نعمة العماد الإلهي . حافظوا على هذه النعمة التي تحولكم
بطريقة عجيبة وتجعلكم أبناء النور .

سوف تدبرون إلى حالة سمارية ، سوف تستخدمون آذانكم
حسب النبوة للسمع ، وقلوبكم الذي كان فيما مضى مريضاً وضعيفاً
لأذ يشفيه الروح ، سوف يجتهد في الفهم ، وأسنتكم التي كانت تنطق
جهلاً سوف تتعلم كلام السلام ، لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين
واحداً ونقض حائط السياج المتوسط ، أف ٢ : ١٤ . كما يقول :
بولس الرسول .

انبتوا إذن في هذه الحالة ولا تذهبوا باختياركم نحو الشر .
فإنكم تركتم الشر الآن ، أنكرتم أعماله وضلاله ، أي الزمر والغناء
الحليع والمناظر التي تشعل الشهوات الرديئة .

لا تصيروا تحت نير تلك الأمور حتى إذا لبستم المسيح
بالمعمودية ، وتزيئتم بالفضائل تصيرون أهلاً للأفراح الإلهية
واللؤلؤية الروحية في ملكوت السموات . ليقنا كلنا نسال ذلك
بالمسيح يسوع ربنا له المجد إلى الأبد آمين .